مَعْهَدُ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ الثَّالِثُ مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازِمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلاَمِ كَلاَمُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَلاَ زَالَ الْحَدِيثُ مُسْتَمِرًّا عَنِ الْأُصُولِ الثَّلاَثَةِ الَّتِي أَلَّفَهَا شَيْخُ الْإِسْلاَمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وَكُنَّا قَدْ تَدَارَسْنَا فِيمَا سَبَقَ الْمَسَائِلَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلاَمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا وَهِيَ الْعِلْمُ، وَالْعَمَلُ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى ذَاكَ الْعِلْمِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى بَعْدَ بَيَانِهِ وَنَشْرِهِ لِلنَّاسِ، ثُمَّ ذَكَرَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- ثَلاَثَ مَسَائِلَ لَا بُدَّ أَيْضًا أَنْ نَتَعَلَّمَهَا، وهي:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْمُتَعَلِّقَةُ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ بِأَنَّ اللهَ-عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الرَّبُّ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الَّذِي بِيَدِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً بَلْ أَقَامَ عَلَيْنَا الْحُجَّةَ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ.

فَالْوَاجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَاعْتِقَادُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

وَأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْكَوْنَ مِلْكُهُ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِنُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَنَجْتَنِبَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَأَمَّا **الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ**: فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَأَمَّا **الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ**: فَفِي الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، فَالْمُسْلِمُ يُوَالِي الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَبَرَّأُ مِنَ الْكَافِرِينَ وَلَا يُوَالِيهِمْ، وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ وَأَنْوَاعِ الْمُوَالَاةِ وَحُكْمِ كُلِّ نَوْعٍ فَقُلْنَا:

إِذَا كَانَتِ الْمُوَالَاةُ هِيَ التَّوَلِّيَ فِي الدِّينِ وَحُبَّ نَصْرِ الْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَإِعَانَتَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَهِيَ مُوَالَاةٌ كُفْرِيَّةٌ.

وَإِذَا كَانَتْ مَحَبَّةَ الْكُفَّارِ لِلدُّنْيَا فَهِيَ لَيْسَتْ بِكُفْرِيَّةٍ وَلَكِنَّهَا كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

وَإِذَا كَانَتْ مُعَامَلَةَ الْكُفَّارِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا بِلاَ مَحَبَّةٍ فَهَذِهِ مُعَامَلَةٌ جَائِزَةٌ لَيْسَتْ بِكُفْرِيَّةٍ وَلَيْسَتْ مِنْ بَابِ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، بَلْ هِيَ مُبَاحَةٌ كَمَا مَرَّ مَعَنَا فِي اللِّقَاءِ الْمَاضِي.

وَفِي هَذَا اللِّقَاءِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى نَدْخُلُ إِلَى دَرْسٍ جَدِيدٍ وَفَوَائِدَ عَظِيمَةٍ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–.

الْمَتْنُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ- أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء: ٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، فَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢]. وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١ – ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

الشَّرْحُ

فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَصَّلَ فِيهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– هَذِهِ الْأُصُولَ النَّافِعَةَ الْجَامِعَةَ، يَقُولُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ».

«اعْلَمْ» –كَمَا مَرَّ مَعَنَا– أَيْ: تيَقَّنْ، وَلَا يَكُنْ عِنْدَكَ شَكٌّ؛ لِمَاذَا؟!

لِأَنَّهُ حَقٌّ أُقِيمَتْ عَلَيْهِ الْحُجَجُ وَالْأَدِلَّةُ، وَلِأَنَّهُ يَقِينٌ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى وَحْيٍ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– فَاعْلَمْ مُتَيَقِّنًا لَا شَكَّ عِنْدَكَ وَلَا اضْطِرَابَ، وَاجْزِمْ بِالْحَقِّ لِأَنَّكَ عَلَى الْحَقِّ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

«اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ»، «أَرْشَدَكَ»؛ بِمَعْنَى: وَفَّقَكَ وَجَعَلَ لَكَ الرُّشْدَ فِي أَمْرِكَ، أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِطَاعَتِهِ.

فَأَسْأَلُ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ وَفَّقَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِطَاعَتِهِ.

مَا الَّذِي تَعْلَمُهُ؟!

وَمَا الَّذِي تتَيَقَّنُهُ؟!

يَجِبُ أَنْ تَتيَقَّنَ أَنَّ «الْحَنِيفِيَّةَ» هِيَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَهَذِهِ هِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلاَمُ–.

فَقَوْلُهُ: «أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ»؛ مَا هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ؟! وَمَا هِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ؟!

هِيَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

فَإِبْرَاهِيمُ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– إِمَامُ الْحُنَفَاءِ الَّذِي قَالَ اللهُ–عَزَّ وَجَلَّ– فِيهِ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وَقَالَ أَيْضًا: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾.

وَقَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

فَهَذِهِ الْمِلَّةُ؛ أَيِ: الدِّينُ وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا نَبِيُّ اللهِ إِبْرَاهِيمُ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–، وَالَّتِي أَمَرَنَا اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَأَمَرَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ نَتَّبِعَهَا.

مَا هِيَ هَذِهِ الْحَنِيفِيَّةُ؟!

هِيَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

وَقَوْلُهُ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ» تَأْكِيدًا لِإِفْرَادِ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

ثُمَّ أَكَّدَهُ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: «مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ»؛ أَيْ: لَا تُشْرِكْ مَعَهُ أَحَدًا.

لِأَنَّ الْمُخْلِصَ هُوَ مَنْ أَفْرَدَ اللهَ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَهَذِهِ هِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–.

لِمَاذَا قِيلَ لِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– بِأَنَّهَا «الْحَنِيفِيَّةُ»؟!

لِأَنَّ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– مَالَ عَنْ طَرِيقِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَإِلَى إِفْرَادِ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–؛ وَلِذَلِكَ «الْأَحْنَفُ» فِي لُغَةِ الْعَرَبِ: هُوَ الَّذِي فِي قَدَمِهِ مَيْلٌ. فَإِبْرَاهِيمُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– كَفَرَ بِمَا كَانَ يَعْبُدُ أَبُوهُ وَقَوْمُهُ مِنْ دُونِ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ–، وَآمَنَ بِاللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

لِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَنْظُرَ هَلْ هُوَ يَعْبُدُ اللهَ–عَزَّ وَجَلَّ– وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلاَ يَصْرِفُ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ–؟!

فَهُوَ عَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ، الَّتِي فِيهَا صَرْفُ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ–عَزَّ وَجَلَّ–؛ مِنْ دُعَاءٍ وَخَوْفٍ وَرَجَاءٍ إِلَى آخِرِهِ، كَمَا سَيَأْتِينَا –إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى–.

قَالَ: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ» «بِذَلِكَ» مَا الْأَمْرُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– بِهِ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ؟!

هُوَ: أَنْ نَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

قَالَ: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ» لِأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ؛ أَيْ: عَاقِلُونَ بَالِغُونَ، وَكُلِّفُوا بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ، فَهُمْ مُحَاسَبُونَ عَلَى مَا كُلِّفُوا بِهِ.

قَالَ: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ لَهَا»، قَوْلُهُ: «خَلَقَهُمْ لَهَا»؛ أَيْ: أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– خَلَقَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ لِعِبَادَتِهِ، فَمَنْ آمَنَ وَاتَّبَعَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ نَجَا، وَمَنْ كَفَرَ وَتَوَلَّى فَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَيَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ.

لِذَلِكَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَحْرِصُوا عَلَى تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ، عَلَى تَحْقِيقِ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لِأَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَمَرَنَا بِذَلِكَ وَخَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ أَيْ: وَالدَّلِيلُ عَلَى مَا قُلْتُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَمَرَ بِذَلِكَ وَخَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»؛ أَيْ: يُوَحِّدُونِ. أَيْ: يُفْرِدُونِي بِالْعِبَادَةِ، فَلَا يُصْرَفُ أَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِي.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ فَاللهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، فَهَلْ يَلِيقُ بِنَا وَقَدْ خَلَقَنَا اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَأَوْجَدَنَا مِنَ الْعَدَمِ، أَنْ نَصْرِفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، نَصْرِفُهَا لِمَخْلُوقِينَ أَمْثَالِنَا أَمْ نَصْرِفُهَا لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– الَّذِي خَلَقَنَا وَأَوْجَدَنَا مِنَ الْعَدَمِ؟!

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ يُوَحِّدُونِ.

فَجَمِيعُ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- كَمَا قَالَ -عَزَّ شَأْنُهُ-: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾.

وَاللهُ أَمَرَنَا أَيْضًا بِعِبَادَتِهِ كَمَا قَالَ-عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

فَبَيَّنَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنَّهُ أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ بَلْ وَمُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، مَا مَعْنَى مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ؟!

أَيْ: لَا نَصْرِفُ أَيَّ نَوْعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ إِلَّا لِلَّهِ-عَزَّ وَجَلَّ- وَبِذَلِكَ نَكُونُ حُنَفَاءَ؛ أَيْ: نَعْبُدُ اللهَ-عَزَّ وَجَلَّ- وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ»، «أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ»، اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَرْسَلَ رُسُلَهُ وَأَوْحَى إِلَى أَنْبِيَائِهِ -صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - وَاخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ، فَأَرْسَلَهُمُ اللهُ-عَزَّ وَجَلَّ- فِي كُلِّ زَمَنٍ بِمَا شَاءَ مِنْ عِبَادَاتٍ إِلَّا أَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ -عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلامُهُ- وَإِنِ اخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ وَعِبَادَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ جَمِيعًا مُتَّفِقُونَ عَلَى تَوْحِيدِ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- وَعَلَى تَحْرِيمِ الشِّرْكِ بِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ التَّوْحِيدِ، وَعَلَى أَهَمِّيَّتِهِ، فَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِهِ التَّوْحِيدُ.

مَا الدَّلِيلُ عَلَى هَذَا؟!

الدَّلِيلُ عَلَى هَذَا: الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ وَأَقْوَالُ السَّلَفِ الْمُتَوَاتِرَةُ فِي بَيَانِ التَّوْحِيدِ.

فَالتَّوْحِيدُ حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَالتَّوْحِيدُ لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللهُ الْعِبَادَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أَيْ: يُوَحِّدُونِ.

وَالتَّوْحِيدُ هُوَ الْأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْعِبَادَةُ، فَمَنْ صَحَّ تَوْحِيدُهُ صَحَّ وَقُبِلَ مِنْهُ بَاقِي عَمَلِهِ، وَمَنْ فَسَدَ تَوْحِيدُهُ لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ سَائِرُ عَمَلِهِ.

مَا الدَّلِيلُ؟!

الدَّلِيلُ قَوْلُهُ–عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ فَبَيَّنَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–أَنَّهُ إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ عَلَى الشِّرْكِ لَا يُغْفَرُ لَهُ أَبَدًا.

وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَمُتْ عَلَى الشِّرْكِ بَلْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَعِنْدَهُ ذُنُوبٌ وَمَعَاصٍ فَهُوَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، إِنْ شَاءَ اللهُ غَفَرَ لَهُ ابْتِدَاءً فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَلَكِنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَمَا أَفَادَتْهُ الْأَحَادِيثُ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّ اللهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ ... إِلَى أَنْ قَالَ: «أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ» وَهُوَ التَّوْحِيدُ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ: «يَا بْنَ آدَمَ لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ» بِمِلْءِ الْأَرْضِ.

«خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا» أَيْ: مُوَحِّدٌ.

«لَغَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي».

فَبَيَّنَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– أَنَّ الْعَبْدَ لَوْ جَاءَهُ مُوَحِّدًا وَعِنْدَهُ ذُنُوبٌ قَدْ يَغْفِرُهَا اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– لَهُ وَلَا يُبَالِي مَا دَامَ أَنَّهُ عَلَى التَّوْحِيدِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَانْظُرُوا إِلَى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنثُورًا﴾؛ أَيْ: هَبَاءً مِثْلَ الذَّرَّاتِ الَّتِي نَرَاهَا فِي الْهَوَاءِ، لَا وَزْنَ لَهَا وَلَا قِيمَةَ، وَلَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا فَهَذَا هُوَ حَالُ الْكَافِرِينَ.

لِذَلِكَ الْمُصَنِّفُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– بَيَّنَ أَنَّ أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، كَمَا سَبَقَ هُوَ الْأَسَاسُ، وَمَعْنَى التَّوْحِيدِ إِفْرَادُ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ– بِالْعِبَادَةِ، وَإِفْرَادُ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ– بِأَفْعَالِهِ، وَإِفْرَادُ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ– بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

فَهَذَا أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ، بَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَهْتَمُّ بِالصَّلَاةِ وَيَهْتَمُّ بِالْحَجِّ وَيَهْتَمُّ بِسَائِرِ الْعِبَادَاتِ، وَلَكِنْ لَا يَهْتَمُّ بِالتَّوْحِيدِ، فَقَدْ يَقَعُ فِيمَا يُخَالِفُهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَقَدْ يَذْبَحُ لِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُو غَيْرَ اللهِ أَوْ يَتَعَلَّقُ قَلْبُهُ بِغَيْرِ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ– فَيَأْتِي بِمَا يُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ أَوْ يُخَالِفُهُ أَوْ يَنْقُصُهُ.

لِذَلِكَ الْعِلْمُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ يَنْفَعُ الْعَبْدَ –بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى– فِي تَجَنُّبِ ذَلِكَ الْبَاطِلِ وَذَلِكَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ.

قَالَ الشَّيْخُ: «وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ».

فَأَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لَا تُصْرَفُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَعْظَمُهَا الدُّعَاءُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ ذَلِكَ.

وَتَأَمَّلُوا بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ فِي قَوْلِ الشَّيْخِ «وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ بِهِ التَّوْحِيدُ» حَيْثُ بَيَّنَ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ الْأُمُورِ فَقُولُوا لِي –بِرَبِّكُمْ–:

مَا صِحَّةُ حَالِ أُنَاسٍ يَعْتَبِرُونَ التَّوْحِيدَ أَنَّهُ يُفَرِّقُ الْجَمَاعَةَ؟!

وَمَا صِحَّةُ دَعْوَةِ أُنَاسٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ تَوْحِيدَ اللهِ فِيهِ إِهَانَةٌ وَاحْتِقَارٌ لِلأَوْلِيَاءِ، وَأَنَّ تَوْحِيدَ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ– أَمْرٌ غَيْرُ مُهِمٍّ؟!

فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ مَنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ، وَإِضْلاَلِهِ لِبَنِي الْإِنْسَانِ.

فَلاَ بُدَّ أَنْ نَتيَقَّنَ وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ– عَزَّ وَجَلَّ– بِهَا، وَأَرْسَلَ لِذَلِكَ رُسُلَهُ –عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–.

«إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ» أَيْ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ– : «وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ».

دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، فَالشِّرْكُ أَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ، قَالَ اللهُ–عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

قَالَ اللهُ–عَزَّ وَجَلَّ– فِي كِتَابِهِ أَنَّ لُقْمَانَ قَالَ لاِبْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وَالنَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سُئِلَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟!

فَقَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟!

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حِينَ سُئِلَ هَذَا السُّؤَالُ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا»، النِّدُّ: هُوَ الْمِثِيلُ وَالشَّبِيهُ، كَيْفَ تَجْعَلُهُ شَبِيهًا وَنِدًّا لِلَّهِ؟!

حِينَ تَدْعُوهُ مَعَ اللهِ فَكَأَنَّكَ سَاوَيْتَهُ بِاللهِ، حِينَ تَذْبَحُ لِلْوَلِيِّ الْفُلَانِيِّ مَعَ اللهِ فَكَأَنَّكَ سَاوَيْتَهُ مَعَ اللهِ وَأَعْطَيْتَهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ الْخَالِقُ.

وَلِذَلِكَ قَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا»؛ أَيْ: شَبِيهًا وَمَثِيلاً وَهُوَ خَلَقَكَ، أَيْ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكَ فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَالشِّرْكُ هُوَ أَنْ تَصرِفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ: «وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ» يَعْنِي أَنْ تَتَوَجَّهَ بِالدُّعَاءِ لِلْوَلِيِّ أَوْ لِلْقَبْرِ أَوْ لِأَيِّ أَمْرٍ كَانَ كَحَجَرٍ أَوْ كَشَجَرٍ أَوْ بَقَرٍ أَوْ مَلَكٍ أَوْ نَبِيٍّ، تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ بِصَرْفِ الدُّعَاءِ أَوْ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَهَذَا شِرْكٌ.

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟!» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ».

فَلاَ شَكَّ أَنَّ الشِّرْكَ ذَنْبٌ عَظِيمٌ؛ لِمَاذَا؟!

لِأَنَّكَ تُسَوِّي بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَذَنْبٌ عَظِيمٌ لِمَاذَا أَيْضًا؟!

لِأَنَّكَ جَعَلْتَ الْمَخْلُوقَ فِي مَنْزِلَةِ الْخَالِقِ وَفَوْقَ مَنْزِلَتِهِ، فَهَذَا مِنَ الظُّلْمِ وَهَذَا مِنَ الضَّيَاعِ وَمِنَ الْأُمُورِ الْمُفْسِدَةِ لِلْعِبَادَةِ، بَلْ لِلْعَمَلِ كَامِلاً فَمَنْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ قَدْ أُحْبِطَ عَمَلُهُ كَمَا قَالَ اللهُ-عَزَّ وَجَلَّ- مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ وَأَنْبِيَاءَهُ مِنْ قَبْلُ وَحَاشَاهُمْ-عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ مِنْ بَابِ التَّحْذِيرِ وَمِنْ بَابِ تَحْذِيرِ النَّاسِ قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ فَمَنْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أَيْ: مِنَ الْمُعَذَّبِينَ فِي النَّارِ، مَنْ مَاتَ عَلَى الشِّرْكِ أَوِ الْكُفْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ يَحْبَطُ عَمَلُهُ وَيَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

لِذَلِكَ الْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَأَلَّا يَصْرِفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْهَا لِغَيْرِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

قَالَ: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾».

الدَّلِيلُ عَلَى مَاذَا؟!

الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- مُخَاطِبًا بِهِ النَّاسَ أَنْ يَعْبُدُوهُ.

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أَيْ: لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- أَيَّ أَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ؛ لِأَنَّ اللهَ-عز وجل- قَالَ: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾ نَهَانَا.

نَهَانَا عَنْ مَاذَا؟

عَنْ أَنْ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا مُعَيَّنًا؟!

لَا، إِنَّمَا قَالَ «شَيْئًا»؛ أَيْ: كُلَّ شَيْءٍ؛ أَيْ: لَا نُشْرِكُ بِهِ أَيَّ شَيْءٍ، فَفِيهِ تَحْرِيمُ أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ–عَزَّ وَجَلَّ– أَيَّ شَيْءٍ أَوْ أَيَّ أَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ، فَهَذَا أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ–عَزَّ وَجَلَّ– بِهِ.

وَهُنَا لَا بُدَّ مِنْ وَقْفَةٍ سَرِيعَةٍ وَهِيَ: أَنَّنَا نَلْحَظُ أَنَّ اللهَ–عَزَّ وَجَلَّ– يَقُولُ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

وَيَقُولُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.

وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

مَا الَّذِي نَلْحَظُهُ؟!

نَلْحَظُ أَنَّ اللهَ–عَزَّ وَجَلَّ– أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ، وَالْأَمْرُ الْمَلْحُوظُ أَنَّهُ مَعَ أَمْرِهِ لَنَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– بِعِبَادَتِهِ نَهَانَا أَنْ نُشْرِكَ بِهِ؛ نَهَانَا أَنْ نُشْرِكَ مَعَهُ غَيْرَهُ.

وَلِذَلِكَ بَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ وَعَلَى طَاعَتِهِ وَلَكِنْ لَا يَتَعَرَّضُ لِلتَّحْذِيرِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ–عَزَّ وَجَلَّ–، فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّ اللهَ–عَزَّ وَجَلَّ– وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ جَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، بَيْنَ الْأَمْرِ بِعِبَادَتِهِ وَبَيْنَ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ مَعَهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

فَلاَ بُدَّ -يَا عَبْدَ اللهِ- إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُحَقِّقَ تَوْحِيدَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ تَلْحَظَ الْأَمْرَيْنِ مَعًا؛ إِفْرَادَهُ بِالْعِبَادَةِ وَعَدَمَ الشِّرْكِ بِهِ، بَلْ هَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلُنَا: «نَشْهَدُ أَوْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فَقَوْلُنَا: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ»: نَفْيٌ لِجَمِيعِ الْآلِهَةِ، «إِلَّا اللهُ»: إِثْبَاتٌ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَأَنَّ مَا سِوَاهُ بَاطِلٌ.

قَوْلُهُ «لَا إِلَهَ»: فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

فَلْيَكُنْ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا عَلَى ذُكْرٍ وَعَلَى تَأَمُّلٍ مِنْ تَحْقِيقِ الْعِبَادَةِ وَمِنَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْبُعْدِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْحَذَرِ مِنَ الشِّرْكِ، وَالشَّيْطَانُ يُغْوِي بَنِي الْإِنْسَانِ وَيُهْلِكُهُ مِنْ بَابِ الشِّرْكِ إِنِ اسْتَطَاعَ فَيُزَيِّنُ لَهُ الشِّرْكَ وَيُصَوِّرُهُ لَهُ.

لِذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَهُوَ إِمَامُ الْحُنَفَاءِ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى وَلَدِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَهُوَ إِمَامُ الْحُنَفَاءِ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ-.

فَلِذَلِكَ إِذَا كَانَ هَذَا حَالَ نَبِيِّ اللهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَمَا بَالُنَا بِمَنْ دُونَهُ؟!

لِذَلِكَ مِنَ الْخَطَأِ الَّذِي نَسْمَعُهُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِذَا جِئْتَ تُحَذِّرُهُ مِنَ الشِّرْكِ وَإِذَا جِئْتَ تَأْمُرُهُ بِالتَّوْحِيدِ، يَقُولُ لَكَ: مَا فِي شِرْكٍ نَحْنُ مُوَحِّدُونَ -سُبْحَانَ اللهِ!- إِذَا كَانَ اللهُ-عَزَّ وَجَلَّ- فِي الْآيَاتِ، فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ يَأْمُرُنَا بِالتَّوْحِيدِ وَيُحَذِّرُنَا مِنَ الشِّرْكِ وَنَسْمَعُ مَنْ يَقُولُ: مَا يَحْتَاجُ أَنْ تَذْكُرَ التَّوْحِيدَ وَالشِّرْكَ كُلُّنَا مُوَحِّدُونَ!

لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، فَعَلَيْكَ -يَا بْنَ آدَمَ، فَعَلَيْكَ يَا عَبْدَ اللهِ وَيَا أَمَةَ اللهِ، عَلَيْنَا جَمِيعًا- أَنْ نَحْرِصَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَأَنْ نُحَذِّرَ مِنَ الشِّرْكِ.

قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «فَإِذَا قِيلَ لَكَ»؛ يَعْنِي: إِنْ سُئِلْتَ.

«مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟!

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هَذَا مِنَ الشَّيْخِ تَعْلِيمٌ لِطُلَّابِ الْعِلْمِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَكَمَا مَرَّ مَعَنَا سَابِقًا؛ أَنَّهُمْ فِي السَّابِقِ كَانُوا يَحْفَظُونَ هَذِهِ الْأُصُولَ حَتَّى الْعَوَامُّ يَحْفَظُونَ هَذِهِ الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ وَيَفْهَمُونَهَا.

وَلِذَلِكَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَتَى بِصُورَةِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ حَتَّى تُحْفَظَ وَحَتَّى تُفْهَمَ فَتَكُونَ رَاسِخَةً فِي الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ؛ إِنْ سَأَلَكَ سَائِلٌ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟!

لِمَاذَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟!

يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؛ لِأَنَّهُ بِمَعْرِفَتِهَا يَكُونُ قَدْ أَتَى عَلَى الْأَسَاسِ السَّلِيمِ لِهَذَا الدِّينِ؛ فَلاَ بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ رَبَّهُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ دِينَهُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا اللهُ، فَهُوَ الْخَالِقُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

وَأَمَّا الدِّينُ، فَهُوَ مَا أَمَرَنَا اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ أَوْ نَهَانَا عَنْهُ مِنَ النَّوَاهِي.

وَأَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَهُوَ الَّذِي بَلَّغَنَا عَنِ اللهِ رِسَالَتَهُ وَأَتَمَّهَا عَلَى أَحْسَنِ الْأَوْجُهِ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–، فَلاَ طَرِيقَ لَنَا لِمَعْرِفَةِ أَمْرِ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ– إِلَّا مِنْ طَرِيقِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

فَلاَ بُدَّ أَنْ تَعْرِفَ هَذِهِ الْأُمُورَ.

«يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ»؛ أَيْ: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.

كَيْفَ مُسْلِمٌ لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ؟!

كَيْفَ مُسْلِمٌ لَا يَعْرِفُ دِينَهُ؟!

كَيْفَ مُسْلِمٌ لَا يَعْرِفُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؟!

فَلِذَلِكَ هَذَا السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَحْفُوظًا لَدَيْنَا كَحِفْظِ الْفَاتِحَةِ، الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

إِنَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ شَيْءٌ مِنْ تَفَاصِيلِهَا، وَلَيْسَ فَقَطْ أَنْ تَقُولَ: رَبِّيَ اللهُ وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ فَقَطْ، لَا بُدَّ أَيْضًا أَنْ تَتَعَلَّمَ لَوَازِمَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَالْأُمُورَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

فَالْأَصْلُ الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ بِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ وَهَذَا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَأَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ وَهَذَا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ.

وَأَنَّ لَهُ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ تَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهَذَا تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَأَمَّا الدِّينُ، وَهُوَ الْأَصْلُ الثَّانِي، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَرْسَلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُرْشِدُنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّهُ أَمَرَنَا بِجُمْلَةٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَنَهَانَا عَنْ جُمْلَةٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَأَبَاحَ لَنَا كَثِيرًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَنَعْرِفُ تَفَاصِيلَهَا الْوَارِدَةَ فِي الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ أَيْضًا مَعْرِفَةُ الْإِيمَانِ، وَمَعْرِفَةُ الْإِحْسَانِ، وَهِيَ مِنْ مَرَاتِبِ الدِّينِ.

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَإِنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ عز وجل، اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ وَهُوَ طَرِيقُنَا لِمَعْرِفَةِ أَمْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وَأَيْضًا قَوْلُ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

فَمَا فَائِدَةُ الرَّسُولِ إِذَنْ؟!

فَائِدَتُهُ أَنْ نَسْمَعَ لَهُ وَنُطِيعَ.

طَيِّبٌ، هَلْ نَسْمَعُ لِلأَوْلِيَاءِ وَلِلصَّالِحِينَ وَلِلْعُلَمَاءِ؟!

نَقُولُ: نَسْمَعُ لَهُمْ فِيمَا بَلَّغُونَا مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَلَا نَسْمَعُ لَهُمْ فِي أَمْرٍ يُخَالِفُ أَمْرَ الرَّسُولِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

فَإِنَّ الْوَلِيَّ لَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْوَلَايَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَّبِعًا لِهَدْيِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مُخَالِفًا مُتَعَمِّدًا لِأَمْرِ اللهِ وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ أَوْ ظَنَّ نَفْسَهُ أَنَّهُ فَوْقَ النَّبِيِّ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– فَلاَ شَكَّ أَنَّهُ وَلِيٌّ لَكِنْ لَيْسَ لِلَّهِ وَإِنَّمَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ صَاحِبُ أَعْمَالٍ وَلَكِنْ لَيْسَتْ خَيِّرَةً بَلْ أَعْمَالٌ فَاجِرَةٌ أَعْمَالُ فِسْقٍ وَفُجُورٍ، نَسْأَلُ اللهَ عز وجل السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وَالشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- سَيُفَصِّلُ لَنَا هَذِهِ الْأُصُول الثَّلَاثَة وَاحِدًا تِلْوَ الْآخَرِ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا هُنَا إِجْمَالًا ثُمَّ سَيُفَصِّلُ هَذِهِ الْأُصُول فَبَدَأَ بِالْأَصْلِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ.

فَقَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-: «فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟!»

نَعَمْ هُنَاكَ مَنْ يَأْتِي وَيُشَوِّشُ عَلَيْكَ، هُنَاكَ قَدْ يَأْتِي مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يُضَلِّلَكَ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْمُسْلِمِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُشَكِّكُونَهُ أَوْ يُضَلِّلُونَهُ أَوْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ؛ بِلاَ شَكٍّ أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْهُمْ وَأَلَّا يَسْمَعَ لَهُمْ، وَلَكِنْ إِنْ جَاءَهُ رَجُلٌ مُسْتَرْشِدٌ

أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ الْحَقَّ لَيْسَ مِنْ بَابِ التَّشْكِيكِ، أَوِ الطَّعْنِ فِي الدِّينِ.

أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْحَقَّ، وَأَنْ يَعْرِفَ الْحَقَّ.

وَأَنْتَ أَيْضًا وَأَنْتِ أَيْضًا يَا أَمَةَ اللهِ وَأَنْتَ أَيْضًا يَا عَبْدَ اللهِ، لَا بُدَّ أَنْ تَنْشُرَ هَذَا بَيْنَ أَبْنَائِكَ، وَبَنَاتِكَ، وَبَيْنَ أَهْلِكَ، وَبَيْنَ نِسَائِكَ، فَلَابُدَّ أَنْ تَنْشُرَ هَذَا الْأَمْرَ.

قُلْ لَهُمْ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَيْنَا مَعْرِفَتُهَا؟!

فَتُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهَا: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِذَنْ لَا بُدَّ أَنْ نَتَسَلَّحَ بِسِلاَحِ الْعِلْمِ وَأَنْ نَتَّخِذَ الْعِلْمَ جُنَّةً نَتَّقِي بِهِ؛ أَيْ بِالْعِلْمِ بَعْدَ فَضْلِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَرَحْمَتِهِ نَتَّقِي بِهَا الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَمُضِلاَّتِ الْفِتَنِ.

قَالَ: «فَإِذاَ قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟! فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، فَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ».

أَنْتَ تُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ – عز وجل – الرَّبَّ: هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ فَإِنْ سُئِلْتَ: مَنْ رَبُّكَ؟! وَمَا مَعْنَى رَبِّكَ؟!

فَتَقُولُ: مَعْنَى الرَّبِّ: الَّذِي رَبَّانِي بِنِعَمِهِ، وَفَضْلِهِ، وَإِحْسَانِهِ، وَرَحْمَتِهِ، لَيْسَ فَقَطْ أَنَا، بَلْ رَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَلِذَلِكَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ فَهُوَ مَعْبُودِي؛ أَيْ: أَنَا أَعْبُدُ اللهَ لِأَنَّهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، لَيْسَ لِي رَبٌّ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لِمَاذَا؟!

لِأَنَّ مَا سِوَى اللهِ مَخْلُوقٌ، مَا سِوَى اللهِ فَقِيرٌ إِلَى اللهِ، مَا سِوَى اللهِ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ، مَنْ أَرَادَ الْمَالَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-.

مَنْ أَرَادَ الْوَلَدَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-.

مَنْ أَرَادَ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ فِي الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَسْأَلِ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-.

لِمَاذَا؟!

لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا وَغَيْرَهَا هِيَ بِيَدِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَحْدَهُ، وَمَنْ سِوَاهُ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ، فَكَيْفَ تَسْأَلُ مَنْ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ وَتَتْرُكُ مَنْ بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ؟!

أَلَيْسَ هَذَا مِنْ تَضْلِيلِ الشَّيْطَانِ؟!

أَلَيْسَ هَذَا مَنْ أَغْوَى بَنِي آدَمَ عَنِ الْحَقِّ وَصَرَفَهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؟!

فَاللهُ-عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الَّذِي رَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ.

كَمَا قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ}؛ يَعْنِي: كُلُّ مَا يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ فَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَهُوَ الَّذِي رَبَّاهُ، فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- كَمَا يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- «الرَّبُّ: هُوَ الْمُرَبِّي الْخَالِقُ، الرَّازِقُ، النَّاصِرُ، الْهَادِي، وَهَذَا الِاسْمُ أَحَقُّ بِاسْمِ الِاسْتِعَانَةِ وَالْمَسْأَلَةِ».

«وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ».

{الْحَمْدُ لِلَّهِ}، «الْحَمْدُ»: هُوَ الثَّنَاءُ عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الْمُسْتَحِقُّ لِهَذَا الثَّنَاءِ فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الْمَحْمُودُ مَعَ الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ.

فَقَوْلُنَا: «الْحَمْدُ»؛ أَيْ: أَنَّ جَمِيعَ الْمَحَامِدِ لِمَنْ؟!

لِلَّهِ؛ جَمِيعُ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَحْمُودِ هُوَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–.

وَ{اللَّهُ}؛ أَيِ: الْمَأْلُوهُ، الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ.

﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {رَبِّ الْعَالَمِينَ}: أَيِ الَّذِي رَبَّى الْعَالَمِينَ مِنَ جِنٍّ وَإِنْسٍ وَغَيْرِهِمْ، فَهُنَا فِيهِ إِثْبَاتُ أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– هُوَ الرَّبُّ؛ رَبُّ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ وَهُمْ مَا سِوَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَأَنَّهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– رَبَّاهُمْ بِنِعَمِهِ؛ فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ.

قَالَ الشَّيْخُ: «وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ»؛ فَهُوَ رَبِّي –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ وَآلَائِهِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى فَضْلِهِ وَجَزِيلِ عَطَائِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَ هَذَا الْأَمْرَ، وَأَنْ نَتَيَقَّنَهُ حَقَّ التَّيَقُّنِ فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– هُوَ الرَّبُّ الَّذِي رَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، لِمَاذَا نَعْرِفُ هَذَا؟!

نَعْرِفُ هَذَا حَتَّى نَزْدَادَ تَيَقُّنًا وَيَقِينًا، وَنَزْدَادَ تَوْحِيدًا لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– فَلَا نَصْرِفُ شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

قَالَ الشَّيْخُ –رحمه الله تعالى–: «فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ».

أَيْ: إِنْ سُئِلْتَ هَذَا السُّؤَالَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!

يَعْنِي: مَا الدَّلِيلُ؟!

لِأَنَّ كُلَّ قَوْلٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ؛ وَلِذَلِكَ الْمُسْلِمُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَعَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، إِذَا تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِدَلِيلِهِ، وَإِلَّا يَكِلُ عِلْمَهُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، هَذَا شَأْنُ الْمُسْلِمِ الَّذِي يَخَافُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-.

فَقَالَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!

مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟!

فَالْجَوَابُ: أَنَّنَا عَرَفْنَا اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

وَمَعْنَى «آيَاتِهِ»؛ أَيْ: عَلامَاتِهِ، وَالْآيَةُ هِيَ الْعَلامَةُ، فَهُنَاكَ عَلامَاتٌ جَعَلَهَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- دَلِيلاً عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَتَفَرُّدِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِالرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ اسْتِحْقَاقَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِلْأُلُوهِيَّةِ؛ أَيْ: بِعِبَادَتِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَرَفْتُهُ بِآيَاتِهِ.

وَأَيْضًا عَرَفْتُهُ «بِمَخْلُوقَاتِهِ»؛ أَيْ: بِمَخْلُوقَاتِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ--عَزَّ وَجَلَّ- الْعَظِيمَةِ مِثْلَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ.

وَآيَاتِهِ مِثْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، وَآيَاتُهُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَإِنَّمَا أَفْرَدَهَا تَخْصِيصًا لَهَا لِعَظِيمِ شَأْنِهَا، وَعَظِيمِ أَمْرِهَا، وِلَأَنَّهُ كَذَلِكَ جَاءَ فِي الدَّلِيلِ كَمَا سَيَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى -.

فَهَذِهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا هِيَ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الرَّبُّ الْخَالِقُ لَهَا -عَزَّ شَأْنُهُ-.

مَا الدَّلِيلُ؟!

قَالَ: وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فَهُنَا وَصَفَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ بِأَنَّهُنَّ مِنْ آيَاتِهِ.

قَالَ: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾؛ يَعْنِي: أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الدَّالَّةِ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِلْعِبَادَةِ.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾؛ أَيْ: وَلَا لِغَيْرِهِنَّ مَعَ عَظَمَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَتْ مُسْتَحَقَّةً لِلْعِبَادَةِ؛ لِمَاذَا؟!

لِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، وَهِيَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-؛ فَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مَنِ الَّذِي أَوْجَدَهُمَا، وَمَنِ الَّذِي خَلَقَهُمَا؛ إِنَّهُ اللهُ، فَإِذَا كَانَ اللهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا، فَإِنَّنَا نَسْجُدُ لَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إِنَّ أَعْظَمْتُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ؛ فَاللهُ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ لِأَنَّهُ هُوَ خَالِقُهَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

فَهُنَا جَعَلَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ مُبْتَدِئًا بِيَوْمِ الْأَحَدِ وَآخِرُهَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَيْ: عَلاَ وَصَعِدَ وَارْتَفَعَ عَلَى عَرْشِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وَصِفَةُ الِاسْتِوَاءِ، نُؤْمِنُ بِهَا عَلَى مَا يَلِيقُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَحْرِيفٍ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أَيْ أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- جَعَلَ اللَّيْلَ يُغَطِّي النَّهَارَ بِظُلْمَتِهِ، وَجَعَلَ النَّهَارَ يَكْشِفُ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ.

﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ أَيْ: كَأَنَّهُمَا يَجْرِيَانِ وَيَتَسَابَقَانِ، يَخْلُفُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ لَيْلٌ وَنَهَارٌ يَتَعَاقَبَانِ بِلاَ خَلْطٍ وَلَا اخْتِلاَطٍ وَبِلاَ اضْطِرَابٍ.

مَنِ الَّذِي أَحْكَمَ هَذِهِ الْأُمُورَ وَمَنِ الَّذِي سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ تَجْرِي فِي مَنَازِلَ لَا تَخْتَلِفُ وَلَا تَضْطَرِبُ لَا لِسَاعَاتٍ مَحْدُودَةٍ بَلْ لِأَزْمِنَةٍ مَدِيدَةٍ وَعَدِيدَةٍ؟!

لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَحْصُلُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا، وَلَا تَحْصُلُ بِالصُّدْفَةِ وَإِنَّمَا لَهَا مُسَخِّرٌ وَمُسَيِّرٌ وَخَالِقٌ، وَهُوَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

لِذَلِكَ قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– هُوَ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ بَلْ وَخَلَقَ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– وَلَهُ الْأَمْرُ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– يَأْمُرُ بِمَا شَاءَ مِنَ الْأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– بِالْبَرَكَةِ الْبَالِغَةِ فِي نِهَايَتِهَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ– ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

قَالَ: «وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾».

«الرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ»؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾.

اعْبُدُوا مَنْ؟! اعْبُدُوا الرَّبَّ لِمَاذَا؟!

لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ فُرُشًا مَهْدًا وَسَهْلاً وَيَسَّرَ لَنَا الْعَيْشَ فِيهَا وَذَلَّلَ لَنَا صِعَابَهَا وَطُرُقَهَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

إِذْ لَوْ كَانَتِ الْأَرْضُ كُلُّهَا جِبَالًا وَكَانَتِ الْأَرْضُ كُلُّهَا مُعْوَجَّةً، لَمَا اسْتَطَاعَ النَّاسُ أَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْهَا، وَلَكِنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- دَحَاهَا، فَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا، وَالسَّمَاءَ بَنَاهَا فَجَعَلَهَا سُقُفًا فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ، سُقُفًا بِلاَ أَعْمِدَةٍ، بِلاَ أَعْمِدَةٍ، تُرَى مَنِ الَّذِي أَمْسَكَ هَذِهِ السَّمَاءَ؟!

مَنِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ فِيهَا عِوَجًا وَلَا تَشَقُّقًا وَلَا اضْطِرَابًا فِي الْخِلْقَةِ؟!

بَلْ هِيَ مِنْ أَحْكَمِ مَا يَكُونُ ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ أَنْزَلَ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ، مِنَ السُّحُبِ، الَّتِي اجْتَمَعَتْ فِيهَا الْمِيَاهُ، فَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ، وَنَزَلَتْ عَلَى الْأَرْضِ.

{فَأَخْرَجَ بِهِ} أَيْ: بِالْمَاءِ.

{مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ}؛ أَنْبَتَ فِي الْأَرْضِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ وَاسْتَفَادَ النَّاسُ وَأَكَلَتِ الْبَهَائِمُ وَاخْضَرَّتْ الْأَرْضُ وَأَصْبَحَتْ جَمِيلَةً بَعْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ وَخُرُوجِ الثَّمَرِ.

هَذِهِ كُلُّهَا نِعَمٌ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْهَارٌ جَارِيَةٌ فِيهَا مِنَ اللَّحُومِ وَالْأَسْمَاكِ وَمِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْخَيْرَاتِ وَأَرْضٌ خَضْرَاءُ وَأَرْضٌ يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا.

مَنِ الَّذِي سَخَّرَ كُلَّ هَذِهِ الْأُمُورَ؟!

هُوَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.

فَلِذَلِكَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– خَاطَبَ جَمِيعَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ جَمِيعُ النَّاسِ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَزْدَادُ إِيمَانًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ وَهُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَذِهِ النِّعَمِ.

فَقَالَ: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾؛ أَيْ: أَمْثَالًا وَأَشْبَاهًا.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ هَذِهِ النِّعَمَ وَأَنَّ هَذَا الْخَلْقَ هُوَ خَلْقُ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ، وَأَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَتَعْلَمُونَ أَنَّ تِلْكَ الْأَصْنَامَ بَاطِلَةٌ، وَأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ شَيْئًا.

وَلِذَلِكَ كَانَ بَعْضُهُمْ يَصْنَعُ الصَّنَمَ مِنَ التَّمْرِ فَإِذَا جَاعَ أَكَلَهُ وَبَعْضُهُمْ رَأَى الصَّنَمَ يَبُولُ عَلَيْهِ كَلْبٌ، فَقَالَ: أَأَعْبُدُ صَنَمًا لَا يَحْمِي نَفْسَهُ مِنْ بَوْلِ كَلْبٍ، فَكَفَرَ بِهِ، يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَأَنَّ تِلْكَ الْأَحْجَارَ وَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيْسَ بِيَدِهَا شَيْءٌ وَإِنَّمَا كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ، وَلَكِنْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ –رَحِمَهُ اللهُ–: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

قَالَ: «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ». مَا الْأَشْيَاءُ؟!

خَلَقَنَا نَحْنُ وَخَلَقَ مَنْ قَبْلَنَا وَخَلَقَ وَسَيَخْلُقُ مَنْ بَعْدَنَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا هَذَا الْإِنْسَانُ.

إِذَنْ؛ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ».

خَلَقَنَا، خَلَقَ مَنْ قَبْلَنَا وَمَنْ بَعْدَنَا، أَيْضًا جعَلَ لَنَا الْأَرْض فِرَاشًا، وَجعَلَ لَنَا السَّمَاءَ بِنَاءً، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، وَأَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، نِعَمًا كَثِيرَةً، فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

فَلاَ تَصْرِفُ الْعِبَادَةَ -كَمَا سَبَقَ- لِغَيْرِهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَسُنَّةَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيهَا مِنَ الْأَدِلَّةِ الْكَثِيرَةِ عَلَى اسْتِحْقَاقِ اللهِ لِلْعِبَادَةِ وَعَلَى شَنَاعَةِ وَعِظَمِ وَخَطَرِ الشِّرْكِ بِاللهِ كَمَا مَرَّ مَعَنَا ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ كَمَا فِي الْقُرْآنِ.

وَكَمَا فِي السُّنَّةِ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟! قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»؛ أَيْ: شَرِيكًا وَهُوَ خَلَقَكَ؛ أَيْ: أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ وَتُشْرِكُ بِهِ؟!

أَسْأَلُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَنْفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا سَمِعْنَا وَأَنْ يَكُونَ حُجَّةً لَنَا، لَا حُجَّةً عَلَيْنَا، وَأَسْأَلُهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يَتَوَفَّانِي وَإِيَّاكُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.